ترجمات

ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.43].

الأسرى في إسبانيا العصور الوسطى
التجربة القشتالية - الليونية والإسلامية
(القرون ١١ - ١٣م)

أ. د. عبد العزيز رمضان

أستاذ التاريخ الوسيط – قسم التاريخ

كلية العلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد

أبها – المملكة العربية السعودية

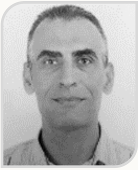

الدِّرَاسَةُ

F. G. Fitz, "Captives in Medieval Spain: The Castilian- Leonese and Muslim Experience (XI-XIII Centuries)", E-Stratégica, 1, 2017, pp. 205-221.

كانت الحرب على الحدود بين مملكة قشتالة-ليون والأندلس خلال القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين تمثل نشاطًا اقتصاديًا سمحت فيه الغنائم لبعض الناس بإثراء أنفسهم، في وقت شكل الأسرى جانبًا كبيرًا من مكاسب الحرب. وقد أدى تحول الحرب لتجارة مربحة إلى ظهور متخصصين حقيقيين في نوع من الممارسات الشبيهة بالحرب التي سعت في الأساس إلى الحصول على الغنيمة. كان سادة هؤلاء الأسرى يستغلونهم كقوى عاملة، سواء في تجارة المدن أو في فلاحة الحقول. ولابد أن معاملة السادة للأسرى كانت متباينة، وإن كانت حالتهم عادة تنطوي على جوع، وأعمال شاقة ومهينة، وضرب وتعذيب، وزنازين مظلمة وغير صحية أو تقييد بالأغلال. وقد طورت المجتمعات آليات متنوعة لجمع الأموال المخصصة لفداء الأسرى، وكان من الشائع على جانبي الحدود ظهور عدد من التقاليد والمؤسسات المكرسة لتحرير الأسرى.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام الترجمة: ١٠ يناير ٢٠٢٢

تاريخ قبـول النشـر: ٠٧ فبراير ٢٠٢٢

كلمات مفتاحية:

إسبانيا؛ قشتالة؛ الأندلس؛ شبه الجزيرة الأيبيرية؛ الأسرى النصارى؛ الأسرى المسلمين

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2022.273485

الاستشهاد المرجعي بالترجمة:

فرانشيسكو جارسيا فيتز. "الأسرى في إسبانيا العصور الوسطى: التجربة القشتالية - الليونية والإسلامية (القرون ١١ - ١٣م)"، ترجمة: عبد العزيز رمضان.- دورية كان التاريخية.- السنة الخامسة عشرة - العدد الخامس والخمسون؛ مارس ٢٠٢٢. ص ١٨١ – ١٩٠.

Corresponding author: aramadan@kku.edu.sa

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّوريةُ كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

حقوق الملكية الفكرية والترجمة والنشر: حقوق الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف. حقوق الترجمة العربية محفوظة©للدكتور عبد العزيز رمضان. المترجم والدورية غير مسئولان عن الآراء الواردة في النص الأصلي. النقل والاستشهاد وفق الأصول العلمية والقانونية المتعارف عليها. غير مسموح بإعادة نشر كامل نص الترجمة العربية إلا بموافقة المترجم.

الأسرى في إسبانيا العصور الوسطى

يميز ألفونسو العاشر (*Alfonso X*) في مصنفه "بارتيداس" (*Partidas*)، أو "المدونة القانونية ذات الأجزاء السبع"، بين نوعين من الأسرى: السجناء والأسرى. ورغم أن ثمة خاصية واحدة تجمعهم، وهي أنهم جميعا تم القبض عليهم من قبل آخرين؛ إلا أن الأول رغم فقد حريته، كان لزامًا على سيده إبقائه على قيد الحياة، دون إيذاء أو التسبب له في معاناة، كما أنه لا يستطيع بيعه، أو استعباده، أو الإقدام على ما يجلب له العار أمام زوجته، أو تفريقه عن زوجته وأولاده ببيعهم فرادى. وعندما وضع مؤلفو الـ"بارتيداس" هذه الشروط، كانوا يعنون ذلك السجين الذي يشترك مع سيده في نفس الدين أو المعتقد؛ فهو مثلًا أسير الـ "حرب بين النصارى".

من ناحية أخرى، كانت ظروف الأسير غير النصراني مختلفة تمامًا. ومما لا شك فيه أنها كانت أصعب وأكثر دراماتيكية؛ فوفقًا لـ الـ "بارتيداس"، كان الأسرى هم "الرجال الذين تم أسرهم من دين مغاير". وبسبب ازدراء الآسرين لمعتقدات الأسير، كان يمكن قتل هذا الأخير بعد أسره، أو تعريضه للتعذيب عبر "عقوبات قاسية" أو استخدامه كعبد أو خادم في عمل -قاسي ومهين– يجعله "يفضل الموت على الحياة". هذا فضلًا عن حرمانه من حيازة أي شيء، وإمكانية بيعه، وحتى تفريقه عن ذويه. وتلخص الـ "بارتيداس" حالة أولئك الأسرى بقولها: "إنه أسوأ مصير يمكن أن يواجهه رجل في هذا العالم".(١) ويركز هذا البحث على الظروف التي خاضها الأسرى في مملكة قشتالة وليون والأندلس بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر.(٢)

كانت الحرب على الحدود بين مملكة قشتالة ليون والأندلس خلال القرنين الحادي عشر والثالث عشر عملية اقتصادية سمحت فيها عمليات النهب لبعض الناس بإثراء أنفسهم، حيث شكل الأسرى جزءًا كبيرًا من أرباح الحرب. في بعض الأحيان، وُصف هذا النشاط بكونه صناعة أو تجارة حقيقية.(٣) وليس من المستغرب، وفقًا لحسابات اقتصادية صارمة، أن نجد المسلمين والنصارى على استعداد لاحترام حياة العدو المهزوم أو المحاصر؛ فبيع الأسير، أو الإفادة منه في العمل، أو التفاوض على إطلاق سراحه، كانت كلها طرق أكثر ربحية من قتله. وبالطبع، بالنسبة للضحية، فإن فقدان ممتلكاته ومكانته الاجتماعية وحريته، فضلاً عن العزلة والانتهاكات التي صاحبت الأسر، كانت بالفعل مأساوية وتسببت في ضرر كبير حيث لم يكن هناك علاج ممكن في العديد من الحالات. ومع ذلك، في ظروف معينة – كما هو الحال في الحصار -يمكن اعتبار هذا أخف الأضرار؛ فعلى سبيل المثال، في عام ١٢١٢، كان المسلمون المدافعون عن مالاجون (*Malagon*) مستعدين لتسليم القلعة للصليبيين وتسليم أنفسهم كأسرى- "*ut essent semper captivi*"- مقابل الإبقاء على حياتهم.(٤)

لقد كان الجميع يدركون -وفقًا لتقاليد الحرب-أن غزو القلعة بالقوة قد يؤدي إلى قتل عشوائي. لذلك، عند اقتراب نهاية المقاومة وقبل حدوث الاجتياح الأخير، كانت الحاميات وسكان القلاع أو المدن المحاصرة يختارون الحل التالي: التخلي عن حريتهم من أجل النجاة بحياتهم.

على سبيل المثال، في الحلقة الأخيرة من معركة العُقاب (*Las Navas de Tolosa*)، حاصر الصليبيون أُبَّدة *Úbeda* –بين يومي ٢٠ و٢٣ يوليو ١٢١٢-وبدأوا الهجوم على الأسوار. وعندما أدرك السكان استحالة الدفاع، انخرطوا في مفاوضات لتسليم القلعة، أملًا في ضمان الإبقاء على حياتهم، وإن لم تكن حريتهم. قد تكون الشواهد والمصادر المعاصرة مفرطة في تحليل عدد الأسرى– إذ قدرته من ٦٠,٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ أسير -لكن لابد أن عدد "الجموع الملعونة المنتشرة في جميع مناطق النصارى" كان ضخمًا، وأن العمليات التجارية التي تلت ذلك -البيع والشراء، والهبات، وما إلى ذلك- كانت كبيرة.(٥)

إن صورة الصفوف الطويلة من المسلمين الأسرى، برفقة آسريهم، وهم يرتحلون نحو الأراضي المسيحية بعد كل غزو، تتكرر كثيرًا طوال القرن الثالث عشر؛ إذ انكشفت الأندلس (بعد أزمة الإمبراطورية الموحدية) لاعتداءات من قشتالة وليون، لقاء قدرتها المحدودة للغاية على الرد. وهكذا، في عام ١٢٢٤م، أثناء العملية العسكرية الأولى لفرناندو الثالث (*Fernando III*) ضد المسلمين، استولى القشتاليون على كويسادا *Quesada* ونهبوا ثرواتها وأسروا "الرجال والنساء والشيوخ والأطفال. لقد كان العدد هائلًا لدرجة من المستحيل تصديقها".(٦) وفي العام اللاحق، استولت قوات فرديناند الثالث (*Ferdinand III*) على مدينة وحصن لوشة (*Loja*)، حيث فقد العديد من السكان حياتهم أثناء القتال بعد الهجوم عليها. ومع ذلك، فإن عددًا أكبر بكثير -ضخمه المؤرخ إلى ١٣٠٠ أو ١٤٠٠ شخص- تم أسره.(٧) وعندما كانت تفشل المفاوضات على تسليم القلعة أثناء الهجوم وتستمر الحاميات في الزود عنها حتى النهاية، أو عندما لم يكن هناك هامش للتفاوض لأي سبب من الأسباب، كان مصير المهزوم دائمًا: الموت أو الأسر. في الواقع، في عام ١٢٤٧، قاتل الجيش القشتالي- الليوني واستولى على بلدة

قطنيانة (*Cantillana*) بالقوة، وقتل وأسر كل من فيها -وفقًا للمؤرخ كان عدد الذين قُتلوا وأُسروا سبعمائة.(٨)

في المقابل، عندما كان الهجوم يفشل وتضطر القوات إلى الانسحاب، كان جنود المؤخرة معرضين دومًا للانضمام إلى صفوف الأسرى. على سبيل المثال، في عام ١٢٧٩ حاصرت قوات ألفونسو العاشر (*Alfonso X*) مدينة الجزيرة الخضراء *Algeciras* عن طريق البر والبحر. ومع ذلك، بعد عدة أشهر أُجبرت هذه القوات على الانسحاب بعد أن هزم الأسطول الإسلامي الأسطول القشتالي. لقد كانت كارثة كاملة وتم أسر العديد من البحارة، بمن فيهم أميرال الأسطول النصراني.(٩)

ومع ذلك، لم تكن حرب الحصار هي السياق الوحيد الذي يمكن للمقاتلين فيه أن يأخذوا أسرى. كان النهب -المعروف باسم "*cabalgadas*" أو الغارة-من أكثر الطرق شيوعًا لشن الحرب في العالم الإسباني في العصور الوسطى، دون السعي لاحتلال المعاقل. بدلا من ذلك، كان الهدف هو تأمين ثروات أو تدمير ممتلكات العدو من أجل إضعافه. في هذا السياق، سعى المقاتلون بشكل أساسي إلى الانخراط في عمليات النهب، وكذلك جمع الثروات التي يمكن نقلها وسرقة الماشية وأسر الرجال والنساء والأطفال.(١٠)

كانت عمليات النهب والتدمير هذه نمطًا شائعًا في حياة مناطق الحدود، لكن عواقبها -بما في ذلك الحصول على الأسرى- كانت تتزايد، خصوصًا عند القيام بحملات ضخمة. على سبيل المثال، خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الثالث عشر، تأثرت الأراضي القشتالية في وادي نهر "الوادي الكبير" (*Guadalquivir*) بشكل كبير بالغزوات التي قادتها قوات من غرناطة ومن المرينيين من شمال إفريقيا. تصف الحوليات الإسلامية الآثار المدمرة لهذه العمليات على الأراضي والنجوع - كتدمير المدن والحصون، وإحراق المحاصيل، وقطع الأشجار- وتتناول أيضًا تفاصيل حول الغنيمة، مؤكدة على أسر الناس. هناك إشارات متكررة لمجموعات من "الأسرى الكفار المقيدين بالسلاسل"، وأسر "الكفار، والعبيد، والأطفال" بأعداد تبدو للناظر كأنها "وديان وجبال مكسوة، بحيث يستحيل إحصائها"، والأسرى الذين تم حشدهم "في جماعات" ليتم اقتيادهم إلى المدن الإسلامية حيث تم عرضهم في مسيرات النصر التي نظمها الفاتحون المسلمون؛ ففي العرض الذي تم تنظيمه في "الجزيرة الخضراء" (*Algeciras*) "سار القادة والأسرى النصارى أمامه [أمام قائد شمال إفريقيا الذي قاد حملة كبيرة في سبتمبر ١٢٧٥] مقيدين بالحبال، ومكبلين بالسلاسل والأصفاد".

في هذه الحملة فقط حسب المؤرخ كان "عدد الأسرى بمن فيهم الرجال والنساء والأطفال ٧٨٣٠".(١١)

وتؤكد بعض المصادر المسيحية تمامًا العواقب المأساوية التي يمكن أن تحدثها الغارات على السكان. علاوة على ذلك، يقدمون شهادة مباشرة تسمح لنا بالتعرف على شكل الأسر في ذلك الوقت. ونحن هنا نشير إلى القصص التي رواها بعض الأسرى الذين تم إطلاق سراحهم لاحقًا، والذين نسبوا تحريرهم إلى معجزة أحدثها القديس دومينيك دي سيلوس (*Saint Dominic of Silos*). حيث اشتهر هذا القديس القشتالي خلال القرن الثالث عشر بالتدخل بمعجزاته في تحرير الأسرى النصارى الذين أسرهم المسلمون، والذين عاشوا في الأسر في مدن مملكة غرناطة وشمال إفريقيا. نتيجة لذلك، في بعض الأحيان عندما يتمكنون من الإفلات من قبضة سادتهم، كانوا يتوجهون إلى الدير، ويشكرون القديس ويخبرونه عن تجاربهم. بفضل هذه الشهادات التي سجلها الرهبان في مصنفاتهم، يمكننا التعرف على جوانب كثيرة من الحياة في الأسر، بما في ذلك ظروف الاعتقال.(١٢)

وتكشف هذه الشهادات عن أن معظم النصارى الذين قُبض عليهم أثناء عملية عسكرية قد أُمسك بهم أثناء مشاركتهم في مداهمة إحدى المناطق الإسلامية. كانوا في الغالب مجموعات صغيرة من المقاتلين (ثلاثة أو أربعة أو عشرات من الرجال) من التي تقدمت نحو مملكة غرناطة للتخريب أو الحصول على غنائم آمنة -العبارة المستخدمة غالبًا لوصف أهدافهم هي "أخذ شيء ما" أو "سلب شيء ما من "المور" (المسلمين)" -عندما أخذتهم مجموعة من المسلمين على حين غرة وهزمتهم وأسرتهم.(١٣) وفي مناسبات أخرى، كانوا جزءًا من وحدة عسكرية أكبر عانت الهزيمة أثناء الدفاع عن أراضيها من هجوم للمسلمين أو أثناء مشاركتها في غارة كبرى في مملكة غرناطة.(١٤)

ومع ذلك، خلال أوقات الحرب على هذه الحدود، كان انعدام الأمن يكتنف جميع السكان. ومما نراه ذي أهمية، أن أكثر من نصف الأسرى الذين قُدمت شهاداتهم في معجزات القديس دومينيك لم يكونوا مقاتلين؛ بل كانوا فلاحين أو بائعين جائلين أو سعاة أخذهم المسلمون على حين غرة وأمسكوا بهم أثناء قيامهم بأعمالهم الروتينية اليومية وإدارة أشغالهم (كالري أو توزيع المخصصات، والحصاد، ورعاية الماشية وإخراجها للشرب أو المراعي، أو حصاد القمح، أو إزالة الأعشاب الضارة من الحقول، أو أخذ الخبز والنبيذ للعمال في حقول الكروم، أو نقل

الحبوب إلى المطحنة، أو نقل القمح أو غيره من المنتجات، أو الانتقال من مكان إلى آخر، أو شراء الخبز أو الحبوب، أو الذهاب للصيد، أو التوجه إلى مكان محدد لتحصيل الديون، أو الإبحار في قارب مع البضائع (الملابس، النبيذ)، أو نقل الرسائل أو المنتجات إلى مواقع مختلفة على الحدود.(١٥)

لقد أدى وجود حدود مشتركة بين النصارى والمسلمين وتحول الحرب إلى تجارة مربحة إلى ظهور متخصصين حقيقيين في هذه الأنواع من الممارسات الحربية. على سبيل المثال، تمكن قادة مدينة آبلة (*Ávila*)، بما في ذلك سانشو جيمينو *Sancho Jimeno*، من إحراز شهرة بين السكان الأندلسيين خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر. فعندما هُزمت الكتيبة العسكرية التي كان يقودها عام ١١٧٣م، كانوا يحملون غنائم وفيرة يقدرها أحد المعاصرين بخمسين ألف رأس من الأغنام ومائتي بقرة ومائة وخمسين رجلاً -"أسرى مسلمون" – يحيط بهم "حراسهم"، ويسيرون "مكبلين متضرعين إلى الله".(١٦)

أدت الغارات الصغيرة التي يقوم بها سكان المدن الحدودية أو عصابات المدن بغرض "كسب شيء من أراضي المور (المسلمين)"، والتي أثرت بالتأكيد على الرعاة والفلاحين وسكان القرى، إلى ظهور ترتيبات معقدة في الأنظمة القضائية البلدية، تتعامل مع مسائل تتراوح من القيادة العسكرية لهذه الحملات إلى تفاصيل حول توزيع الغنيمة التي يتم الحصول عليها: وفيما يتعلق بالأسرى، نعلم أن بعض الأشخاص في الحملة -أُطلق عليهم "حراس الأسرى" أو "كوادريليروس" (*cuadrilleros*)، بمعنى "عصابة"– كان عليهم مراقبة الأسرى ليل نهار حتى يتم توزيعهم. وكان عليهم تتبع الأسرى لقاء تلقيهم شاتين من الغنيمة كأجر.(١٧)

ومن المستحيل تحديد قيمة أسير الحرب المسلم مقارنة بمكاسب النهب الأخرى، لكن يمكننا الافتراض بأنها كانت مرتفعة؛ لأن الأسرى كانوا المكافأة الممنوحة لأشجع المحاربين؛ مثلًا لأول محارب يقتحم قلعة العدو، أو لأولئك الذين شغلوا مناصب مهمة في الحملة، كالكاهن أو كاتب العدل.(١٨)

وعندما يعود المجندون إلى الديار، كانوا يسلمون خُمس أو سدس الغنيمة إلى الملك أو السلطات المحلية، ويقومون بتعويض أولئك الذين عانوا من خسائر في بعض أشيائهم أثناء الغارة (كالخيول أو الأسلحة مثلًا). ثم يبيعون الغنيمة المتبقية، بما في ذلك الأسرى، في مزاد علني، ويوزعون الأرباح على أنفسهم. وتبعًا لذلك، حقق أسرى الحرب مكاسب مالية مباشرة لآسريهم. بالإضافة إلى ذلك، بمجرد بيعهم، ينخرط الأسرى في الأوساط العمالية والتجارية مما أسهم في تحقيق المزيد من المكاسب الاقتصادية، ليس فقط لمالكيهم، الذين كما سنرى تمكنوا من استغلال عملهم أو إعادة بيعهم، بل أيضًا للدولة التي استفادت بشكل غير مباشر من الأسرى عن طريق الضرائب التي طُلب من المشترين دفعها من أجل تأمين حيازتهم.(١٩)

لا توجد بيانات محددة من تلك الفترة تؤكد مدى تفاوت سعر الأسير المسلم في السوق من الوقت الذي باعه فيه آسره لأول مرة حتى انتقاله إلى يدي مالكه النهائي، لكن بعض الشهادات الواردة في معجزات القديس دومينيك تظهر أن أسعار الأسرى النصارى ارتفعت بسرعة، مما يعني أن المكاسب قد تكون ضخمة: على سبيل المثال، باع آسر أحد سكان ماتريرا (*Matrera*) أسيره مقابل أربعة "دوبلاس" (*doblas*)، ثم باعه المشتري لاحقًا مقابل ثمانية "دوبلاس"؛ أي أنه حقق ربح بنسبة ١٠٠٪. كانت أرباح مشتري لأسير نصراني من كويلار (*Cuellar*) حوالي (٤٠٪)، حيث اشتراه مقابل ٢٥ "مرافيدي" (*maravedís*) وباعه مقابل ٣٥. وهناك أيضًا حالة مثيرة للاهتمام لأحد سكان إشبيلية؛ فبعد أن تم أسره أثناء الغارة، تم بيعه في البداية في مزاد علني مقابل ١٣ "مرافيدي"، ثم بيعه لاحقًا مقابل ١٥ "مرافيدي"، ولابد أنه كان من المهين لأسير أن يُباع بهذا الثمن البخس، وهو ما دفعه إلى نعت مشتريه بالـ "كلاب" مدعيًا أنه يساوي أكثر من ثمن حمار، وأن عليهم شرائه مقابل ٢٠ "ميرافيدي". وقد تم شراؤه في النهاية مقابل ٢٣ "ميرافيدي".(٢٠)

ولا نعرف الكثير عن الظروف المعيشية للأسرى المسلمين خلال هذه الفترة، ولكن كما هو متوقع، كما حدث في فترات لاحقة،(٢١) كان مالكو هؤلاء الأسرى يستغلونهم كأيدي عاملة، سواء في تجارة المدن أو في العمل بالحقول. في بعض الحالات ربما تم استخدامهم في الأعمال الشاقة، مثل بناء أو إصلاح القلاع أو غيرها من المباني. ووفقًا لألفونسو الثامن (*Alfonso VIII*)، أخذ الصليبيون معهم العديد من المسلمين الذين تم أسرهم بعد الاستيلاء على أُبَّدة عام ١٢١٢م، "من أجل خدمة النصارى والأديرة التي كان لابد من ترميمها على التخوم".(٢٢)

لكن في حالات أخرى، كان الأسرى المسلمون أكثر حظًا بالعمل في خدمة مالكيهم؛ إذ أن هذا أتاح لهم الفداء. هناك عدة حالات تعود إلى منتصف القرن الثالث عشر لأسرى مسلمين اتفقوا مع مالكيهم على إطلاق سراحهم –منها حالة أسرى راهبات من دير سان كليمنتي (*San Clemente*) في طليطلة (*Toledo*)-بعد فترة من خمس إلى ثماني سنوات من

العمل في أراضي مالكيهم.[٢٣] وفي الواقع أن مثل هذا الظرف منصوص عليه في الشريعة الإسلامية، ويُعرف باسم "الإفراج التعاقدي"، وهو اتفاق بين الأسير والمالك يتعهد الأول بموجبه بأن يدفع للأخير -من خلال العمل لديه أو عبر وسائله الخاصة- مقابل حريته بعد فترة زمنية محددة. وفي الواقع، يبدو أن هذا كان ممارسة شائعة في العديد من الممالك في شبه الجزيرة الأيبيرية كما حدث أيضًا في ميورقا (*Majorca*) وبلنسية (*Valencia*) في ذلك الوقت. وتكشف أمثلة ميورقا المألوفة لدينا تحديدًا أن الأسعار التي يجب دفعها لإطلاق سراح الأسرى المسلمين كانت ضعف التكلفة التي تحملها المالك عند الشراء في المزاد العلني، مما يجعلها صفقة تجارية لطيفة وسريعة للمالك.[٢٤] وهذا يعني بالطبع أن الأسرى استفادوا بالفعل من درجة معينة من حرية الحركة والأمن والسلامة الجسدية في العمل لحساب مالكهم أو العمل لحسابهم الشخصي من أجل شراء حريتهم.

وعلى الرغم من أن المصادر نادرًا ما تقدم أية معلومات، فمن الواضح أن معاملة النصارى للأسرى المسلمين لابد وأنها كانت متنوعة بشكل كبير، وأن العديد منهم عانوا من تجارب مروعة من سوء المعاملة أثناء أسرهم. يمكن الافتراض أن وضعهم لم يختلف اختلافًا جوهريًا عن وضع إخوانهم في الدين في القرن الخامس عشر، الذين تظلموا من العمل الشاق الذي كان عليهم القيام به في الحقول أو تشييد المباني. واشتكوا من الاضطرار إلى العمل أيام العطلة في تنظيف منازل مالكيهم. واشتكوا من العيش منفردين في غرف مظلمة ومقيدين بالأغلال.[٢٥]

ولم تكن حياة الأسرى النصارى في الأراضي الإسلامية مختلفة بأي حال من الأحوال. وتوفر لنا قصص الأسرى المحررين، ممَنْ ذهبوا إلى الدير في سانتو دومينغو دي سيلوس (*Santo Domingo de Silos*) للإدلاء بشهادتهم على تحررهم الإعجازي، شهادات مفصلة لظروف الأسرى النصاري خلال القرن الثالث عشر.

وعمليًا، طُلب من جميع الأسرى العمل لمالكيهم بدون أجر. وتم توظيف العديد منهم في الأعمال الزراعية، أو حرث الأرض أو حفرها، أو العمل في مزارع الكروم، أو تربية الماشية أو نقل القش لصنع السماد، على الرغم من أنهم اضطروا في كثير من الأحيان إلى طحن الحبوب أو القمح أو الحبوب الأخرى يدويًا. وفي أكثر من مناسبة، ذكر الأسرى المحررون أنهم أُجبروا خلال النهار على العمل في الحقول، وفي الليل كان عليهم طحن الحبوب.

وهناك أيضًا سجلات لعملهم في البناء، وتصنيع الجص، وبناء جدران المنازل أو المباني الأخرى، ونشر الأخشاب لبناء المنازل. وفي بعض الحالات، على الرغم من أن الأسرى في الأندلس كانوا أقل شيوعًا، تم استغلالهم في الصناعات اليدوية، مثل صناعة الأواني الفخارية، وطحن التراب لصنع الأواني الفخارية، والحدادة. وهناك أيضًا إشارات تثبت أنهم كانوا مطالبين أحيانًا بأداء أعمال منزلية أكثر صرامة، مثل سحب المياه من الآبار العميقة لتزويد الحمّام ومنزل المالك أو تسخين الموقد للحمّام.[٢٦]

وبشكل عام، كان الأسرى يعملون لصالح مالكيهم في المنازل أو الورش أو في أراضيهم دون أي أجر. وعندما يكون الأسير مملوكًا لأكثر من شخص، كان يعمل لكل منهم وفقًا للأسابيع.[٢٧] ومع ذلك، هناك حالات لأسرى عملوا بالأجر لآخرين مقابل دفع حصة لمالكيهم: على سبيل المثال، كان على أحدهم أن يعمل بشكل جزئي ويدفع لمالكه دينارين فضيين (*dineros*) يومياً، مما يسمح لنا باستنتاج أن صاحب العمل لم يكن مالكه. وكان على أسير آخر أن يعمل في بناء بقرية الجزيرة الخضراء (*Algeciras*) وطُلب منه أن يسلم لمالكه اثنين من "*alquilates*" الفضية. وفي حالة أخرى -على الرغم من أن الرواية غير واضحة تمامًا-يبدو أن الأسير كان مطالبًا بالتجول في القرية عارضًا طحن الحبوب للسكان من أجل شراء طعامه. في المثالين الأولين، اللذان يشترطان أن يدفع الأسير مبلغًا من المال لمالكه يوميًا، كانت هناك عقوبة أربعين جلدة إذا لم يعمل الأسير بجد يومًا بما يكفي لكسب ما كان عليه دفعه لمالكه.[٢٨]

إن جميع شهادات الأسرى تقريبًا قدمها رجال، ومع ذلك تظهر النساء أيضًا في قصص المعجزات. لقد قمن بشكل عام نفس الوظائف الشاقة مثل الرجال، وإن كانت هناك إشارات إلى مصيرهن كسراري لملاكهن: أحد الأسرى المفرج عنهم، مثلًا، يحكي حقيقة أنه تحرر بمساعدة امرأة مسيحية أسيرة تدعى ماريا "الدلو" "*La Baldera*"، والتي كانت "صديقة" زعيم مسلم في مدينة وادي آش (*Guadix*)، وتتنقل في جميع أنحاء المدينة بحرية كافية للتعامل مع الأسرى. والمثال الأكثر وضوحًا هو الأسيرة المسيحية كاتارينا دي ليناريس (*Catarina de Linares*)، التي وقع مالكها -شقيق ملك غرناطة-في حبها وفُتن بها. لقد حبسها في منزله لمدة أربع سنوات وأنجب منها طفلين. وكان يعيش في ذات المنزل أربع نساء أسيرات أخريات، ليس من المعروف ما إذا كان يتم معاملتهن أيضًا

كمحظيات.[٢٩] في كلا المثالين، كان الملاك أفراد من الطبقة الحاكمة من غرناطة، مما يجعل من الممكن الافتراض أن السراري ربما كن أكثر شيوعًا عندما كان ملاكهن جزءًا من النخبة السياسية لبني نصر، بينما في الحالات المتبقية، كان يتم توظيف الأسيرات عمومًا في إنجاز الأعمال المنزلية العادية.

وفضلًا عن القيام بمهام شاقة، كانت الظروف المعيشية لهؤلاء الأسرى صعبة بالمثل: فقد تحدث العديد منهم عن قلة كميات الطعام التي قدمها لهم ملاكهم، وذكروا صراحة أنهم تلقوا القليل جدًا من الطعام، وأنهم "لم يشبعوا أبدًا" مع مثل هذه الكميات الضئيلة من الطعام.[٣٠] علاوةً على ذلك، كان الطعام رديئاً وغالبًا ما يتكون من خبز مصنوع من حبوب كريهة تستخدم عادة لتغذية الحيوانات، مثل الشعير والذرة والحنطة و"السينا *seýna*" والدخن والنخالة. وثمة شهادة غريبة عن اللجوء إلى أكل لحم حصان ميت، بينما زعمت أخرى بأن أسيرًا تلقى خبزًا مصنوعًا من حبة سوداء تبدو مثل الفحم، حتى أن آخرين كانوا يأكلون الخبز المصنوع من حبوب ممزوجة بجذور نبات البروق (نبات من الفصيلة الزنبقية).[٣١] وفي حادثة غريبة، تم إدخال مشابك حديدية مثبتة بأقفال في أفواه الأسرى لمنعهم من أكل القمح الذي كان عليهم طحنه في العمل.[٣٢]

ومع ذلك، ثمة أمثلة استثنائية لأسير سمح له أسياده بأكل الأرانب والحجل والخبز والتين، ولآخر سُمح له بالجبن.[٣٣] وبالمثل، وعد بعض الأسرى بالصوم على الخبز والماء أثناء الصوم الكبير خلال تضرعهم إلى القديس دومينيك من أجل تحريرهم، الأمر الذي يشي بأن نوعية ما يأكلونه يوميًا كانت أفضل.[٣٤] وبأي حال، بالنظر إلى الشهادات المصدرية ككل، يبدو أن الجوع كان تجربة شائعة تذكرها العديد من الأسرى كجزء لا يتجزأ من حياتهم في الأسر.[٣٥] لقد كانت تجربة مروعة ظلت محفورة بشكل دائم في أذهانهم، بيد أنه كان للملاك منطق مالي مزدوج وراء إنقاص كمية الطعام وتقليل جودته: أولاً، كلما قل الإنفاق على أسيرهم، زاد الربح عند بيعه أو فدائه؛ ثانيًا، كان هذا وسيلة للضغط على الأسرى لفعل كل ما هو ممكن لتأمين فدائهم في أقرب وقت ممكن وبأفضل سعر.

وثمة تجربة أخرى لا يمكن أن ينساها الأسرى تتعلق بظروف احتجازهم طوال الليل؛ فلمنعهم من الهروب، غالبًا ما كان الملاك يحبسونهم في بيوت -سجون-أو غرف يتم إغلاقها بأقفال محكمة، ويراقبها الحراس والكلاب، أو في زنازين تحت الأرض تم حفرها على عمق عدة أمتار. بل أن البعض احتُجز في صوامع ومخازن للبضائع أو خزانات المياه، وفي "شِوَن الحبوب" (*alhóndigas*) والآبار (*algibes*)، وحتى في غرف تقع على ارتفاع معين. وبالمثل، تم تقييد الأسرى من أقدامهم وأعناقهم، أو تكبيلهم بالأصفاد حول معصمهم أو بفخ يشل حركتهم. وعلى سبيل المثال، يذكر أحد الأسرى المحررين أنه كان "في سجن عميق جدًا، على بعد أكثر من خمسة وعرين مترًا تحت الأرض، وكُبلت قدمي بالحديد وبسلسلة حول رقبتي" (المعجزة رقم ٦).[٣٦]

ومما لا شك فيه أن التعذيب كان أحد أكثر جوانب حياة الأسير إيلامًا. وتكشف شهادات العديد من الأسرى المحررين أن أكثر أشكال التعذيب شيوعًا هو الجلد بالسوط، رغم أن بعضهم تعرض أيضًا للضرب بأعمدة وللحرق بمكواة مشتعلة وحتى لخلع أسنانهم.[٣٧] وكان هناك العديد من الأسباب وراء العقوبات والتعذيب التي تعرض لها الأسرى النصارى. في بعض الأحيان، كان الملاك يضربون أسراهم نتيجة أي خطأ أحدثوه، سواء هم أو غيرهم من النصارى، أو إذا حاولوا الهرب؛[٣٨] وأحيانًا، وإن كان ذلك يتم سرًا، كان يتم تعذيب الأسرى النصارى لإجبارهم على تغيير دينهم والتحول إلى الإسلام. وبالفعل، فإن مثل هذه العقوبات تنطوي على درجة أعلى من القسوة: فقد زعمت إحدى الحالات الموثقة أنه لتحويله إلى الإسلام "أُحرق عدة مرات بالحديد المحمى"، بينما تعرض أسير آخر لاقتلاع ١٢ سنًا من أسنانه؛[٣٩] وكان من الشائع أن يتعرض الأسرى للتهديد بالضرب والجلد إذا لم يفوا بالتزامات العمل التي يفرضها عليهم ملاكهم ، وهناك أمثلة تشير إلى أن هذه التهديدات كان يتم تنفيذها بالفعل عندما يقصر الأسرى في العمل بجد بما فيه الكفاية، وأيا كان السبب.[٤٠] ومع ذلك، كانت السياسة الأكثر شيوعًا هي قيام الملاك بإساءة معاملة الأسرى للضغط عليهم لافتدائهم نظير مبلغ محدد من المال؛ فالمعاناة الجسدية للأسير ستدفعه إلى الاتصال بأقاربه على الجانب الآخر من الحدود لفعل كل ما هو ممكن لتوفير المبلغ الذي يحتاجه. وكانت بعض العقوبات قاسية على نحو خاص؛ فأحد الملاك، لحمل أسيره على الخلاص، جلده "مائة واثنتين جلدة بحزام صلب في نهايته دبوس حديدي لجرح جسده"، في حين تلقى آخر ٢٤٠ جلدة خلال يومين، "وتُرك شبه ميت".[٤١] علاوة على ذلك، كان الألم الجسدي الناجم عن الضرب والجلد يتضاعف في بعض الأحيان مع تهديد الأسير بإرساله إلى شمال إفريقيا، وهو أمر كان من شأنه أن يبث الرعب في نفس أي أسير، لأنه يعني تقريبًا بالنسبة له استحالة استعادة حريته ثانية.[٤٢]

على أي حال، علينا توخي الحذر عند تفسير هذه الشهادات لأن قصص المعجزات قد تغالي في وصف الظروف الأكثر إيلامًا للأسر بغية تضخيم دور القديس دومينيك الخيري في تحرير الأسرى. على سبيل المثال، من الصعب فهم سبب قيام الملاك بتعذيب أسراهم لتحويلهم إلى الإسلام، لأن إسلام الأخيرين يعني التنازل عن التربح مقابل فدائهم. أيضًا، على الرغم من أن الإساءة الجسدية تحمل منطقًا في سياق الغرض المالي للأسر - الضغط على الأسير لجني أكبر ربح ممكن-إلا أن العنف المفرط كان له نتائج مالية عكسية؛ حيث يعيق السجين عن القيام بالعمل، وفي حالة الوفاة، يدمر رأس المال؛ فأحد الحراس قال لمالك أسير تعرض للجلد بطريقة وحشية: "عليك أن تحرص عليه وإلا خسرت ما دفعته ثمنًا له".[٤٣]

وبناءً عليه، من الواضح أن هدف المُلاك الرئيس كان التوصل إلى اتفاق مع أسراهم لضمان تعهدهم بدفع مبلغ من المال أو أي من العطايا الأخرى مقابل تحريرهم. تُظهر بعض أمثلة شهادات الأسرى المحررين أنها كانت تجارة مربحة؛ فهناك أسير تم شرائه باثنين ونصف "دوبلاس"، وبعد أن تعرض لمعاناة شديدة، اضطر إلى عقد اتفاق على الفداء مقابل ثلاثين "دوبلاس"، ولفتين من الأقمشة وسكينين من بامبلونا (*Pamplona*)، ومعنى هذا أن هذه الصفقة إن تمت، فإن المالك سيحقق ربحًا يزيد عن ١٢٠٠٪. وثمة أسير آخر، تم شرائه آخر بعشرين "دوبلاس"، اتفق على دفع مئة "دوبلاس" مقابل فدائه.[٤٤]

وفي بعض الأحيان، كان الاتفاق بين الطرفين يقوم على أن يضطلع الأسير شخصيًا بتأمين مبلغ الفداء المتفق عليه. عندئذ كان يتم إطلاق سراحه على أن يترك مكانه رهينة كضمان للدفع. في العادة، كان هؤلاء الرهائن هم أبناء الأسرى، حيث يتم احتجازهم مكان أبيهم، ويتم تحريرهم عندما يتمكن الأخير من جمع الأموال اللازمة لذلك.[٤٥]

ومع ذلك، كان بإمكان هؤلاء الأسرى الاتكال على آليات مختلفة وُضعت في المجتمعات الإسلامية والنصرانية لجمع الأموال المخصصة لفداء الأسرى. وهكذا، شارك المجتمع المسلم بأكمله بفاعلية في هذا النشاط، مع الوصية بالمواريث أو بذل الصدقات لهذا الغرض. ومن المعروف، على سبيل المثال، أنه في يونيو ١١٨٢م، ألقى أفراد كتيبة قشتالية -عبر ريف قرطبة وإشبيلية-القبض على "سبعمائة شخص من الرجال والنساء"، وتم تحريرهم لاحقًا على يد "سكان إشبيلية مقابل ألفين وسبعمائة وخمسة من الدنانير الذهبية، منها مائة دفعها ابن زهر *Ibn Zuhr* من ماله الخاص، وقام أهل المسجد بجمع الباقي".[٤٦]

وبالمثل، كان هذا الوضع شائعًا على طرفي الحدود لدرجة أنه أدى إلى ظهور عدد من التقاليد والمؤسسات التي تعمل على تحرير الأسرى. وبناءً على ذلك، فإن المواثيق البلدية لقشتالة وليون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر نظمت بنية "الفكاكين" (*alfaqueques* أو *exeas*) الذين كرسوا أنفسهم لتأمين إطلاق سراح الأسرى مقابل دفع فدية.[٤٧] وقد ورد ذكر أولئك "الفكاكين" بشكل شائع في معجزات القديس دومينيك، حيث عملوا كوسطاء بين عائلات الأسرى وملاكهم المسلمين، وقاموا بنقل الرسائل ومبالغ الفدية (بين الطرفين).[٤٨] وفي حالة واحدة على الأقل، ورد ذكر قيام أخوين من هيئة "القديس يولاليا البرشلوني" (*Saint Eulalia of Barcelona*) بمهمة الوساطة هذه.[٤٩]

وفي حالات أخرى، تم تبادل الأسرى المسلمين بالأسرى النصارى، ولكن حتى في هذه الحالات، كان المالك يتلقى تعويضًا نظمه التشريع المحلي وقتذاك. إن دفع الفدية، إلى جانب التربح من استغلال الأسير في العمل، جعل الإمساك بالأسرى في المناطق الحدودية عملاً مربحًا. واستفادت السلطات العامة - ليس الملك فحسب، وإنما البلديات أيضًا-من هذا العمل عبر فرض ضرائب على المعاملات (المتعلقة بالأسرى).[٥٠]

وفي بعض الأحيان، أُستخدم الأسرى كرهائن أو للعب دور خاص في سياق المفاوضات السياسية أو الاتفاقات العسكرية بين المسيحيين والمسلمين؛ حيث نعلم، مثلًا، أن عددًا كبيرًا من المحاربين النصارى، الذين أسرهم المسلمون بعد هزيمة الأرك (*Alarcos*) عام ١١٩٦م، تم مبادلته بعدد مماثل من الأسرى المسلمين خلال بضع سنوات تالية.[٥١] في الواقع، إن حقيقة احتفاظ الملك لنفسه في "بارتيداس" ألفونسو العاشر بالحق في أن يحتفظ بالأسرى البارزين الذين تم الإمساك بهم أثناء العمليات العسكرية -كالحال أيضًا مع السلطات البلدية- يسمح لنا بافتراض أن أولئك الأسرى تم استخدامهم لاحقًا للحصول على مكاسب اقتصادية أو سياسية أو أرضية من العدو.[٥٢]

الاحالات المرجعية:

(1) *Las Siete Partidas del Sabio Rey Alfonso*, Salamanca, 1555, Partida II, Tít. XXIX, Ley I.

(٢) عن الأسر في إسبانيا العصور الوسطى، انظر أحدث كتاب عام في هذا الموضوع:

José Manuel CALDERÓN ORTEGA and Francisco Javier DÍAZ GONZÁLEZ, Vae Victis: *Cautivos y prisioneros en la Edad Media Hispánica*, Universidad de Alcalá de Henares, Alcalá de Henares, 2012.

وانظر كذلك:

James William BRODMAN, “Captives or Prisoners: Society and Obligation in Medieval Iberia”, *Anuario de Historia de la Iglesia*, 20 (2011), pp. 201- 219.

وعن هذا النقطة تحديدًا في سياق قشتالة-ليون خلال القرون ١١م و١٣م، انظر:

Francisco GARCÍA FITZ, “De exterminandis sarracenis? El trato dado al enemigo musulmán en el reino de Castilla y León durante la Plena Edad Media”, in *El cuerpo derrotado: cómo trataban musulmanes y cristianos a los enemigos vencidos (Península Ibérica, ss. VIII-XIII),* Maribel Fierro & Francisco García Fitz (eds.), CSIC, Madrid, 2008, pp. 113-166 (esp. 128-142).

والدراسة الأخيرة تشكل أساس هذا البحث، وإن تم التوسع في بعض الجوانب وتحديث القائمة الببليوغرافية.

(3) Charles DUFOURCQ and Jean GAUTIER-DALCHE, *Historia Económica y Social de la España Cristiana en la Edad Media, El Albis*, Barcelona, 1983, pp. 97-101; Luis Miguel VILLAR GARCÍA, *La Extremadura castellano-leonesa. Guerreros, clérigos y campesinos (711-1252), Junta de Castilla y León*, Valladolid, 1986, pp. 162-164 and 181-184; Emiliano FERNÁNDEZ DE PINEDO, “Guerra, distribución de la renta y actividad comercial en la Edad Media”, in *El Fuero de Santander y su época*, Santander, 1989, pp. 241-253; *Ernesto* PASTOR DÍAZ DE GARAYO, “Las parias y el botín en la configuración de la renta de la aristocracia castellana del siglo XI. El ejemplo del Cid”, *Les sociétés médionales à l’âge féodal (Espagne, Italie et sud de la France (Xe -XIIe s.). Hommage à Pierre Bonnassie*, París, 1999, pp. 215-221.

(4) Carta de Arnaldo Amalarico, arzobispo de Narbona, al Capítulo del Cister, sobre la batalla de Las Navas de Tolosa, in Gaspar IBÁÑEZ DE SEGOVIA PERALTA Y MENDOZA, Memorias históricas de la vida y acciones del rey don Alonso el Noble, octavo de ese nombre, Madrid, 1783, p. CIV.

(5) *Crónica Latina de los Reyes de Castilla*, ed. Luis Charlo Brea, Cádiz, 1984, p. 35; *Carta de Alfonso VIII al papa Inocencio III sobre la Batalla de Las Navas de Tolosa*, in Julio GONZÁLEZ, El reino de Castilla en tiempos de Alfonso VIII, CSIC, Madrid, 1960, doc. 897, pp. 571-572.

(6) *Crónica Latina de los Reyes de Castilla*, p. 64.

(7) Crónica de Veinte Reyes, Coord. César Hernández Alonso, Ayuntamiento de Burgos, Burgos, 1991, Book XIV, Chapter X, p. 301.

(8) *Primera Crónica General*, ed. R. Menéndez Pidal, Gredos, Madrid, 1977, chap. 1076, p. 749.

(9) *Crónica de Alfonso X*, ed. M. González Jiménez, Real Academia Alfonso X el Sabio, Murcia, 1998, chap. LXXII, pp. 200-204; IBN ABI ZAR: Rawd al-Qirtas, Anubar, Valencia, 1964, vol. II, pp. 622-629.

كان من بين الأسرى الذين ذهبوا إلى الدير في سانتو دومينغو دي سيلوس Santo Domingo de Silos لشكر القديس على إطلاق سراحهم العديد ممن تم الإمساك بهم خلال هذه المعركة. انظر:

Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín, ed. Manuel González Jiménez & Ángel Luis Molina Molina, Real Academia Alfonso X el Sabio, Murcia, 2008, miracles nos. 14 and 74.

وحول نفس المصدر انظر حاشية (١٢).

(10) Francisco GARCÍA FITZ, *Castilla y León frente al Islam. Estrategias de expansión y tácticas militares (siglos XI al XIII),* Universidad de Sevilla, Sevilla, 1998, esp. chap. I.

(١١) إشارات النصوص من:

IBN ABI ZAR: *Rawd al-Qirtas*, vol. II, pp. 593, 597, 602-603.

(12) *Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín.*

هذا المصدر ضروري لفحص الأسر في شبه الجزيرة الأيبيرية. وقد أسهم في نشر العديد من الدراسات حول هذا الموضوع. وبالإضافة إلى "مقدمة" للطبعة التي ذكرناها، انظر دراسات أخرى من بينها:

José María COSSÍO, “Cautivos de moros en el siglo XIII”, *Al-Andalus*, VIII (1942), pp. 49-112; Juan TORRES FONTES, “La cautividad en la frontera gaditana (1275-1285), Cádiz el siglo XIII, Universidad de Cádiz, Cádiz, 1983, pp. 75-92; Manuel GONZÁLEZ JIMÉNEZ, “Esclavos andaluces en el reino de Granada”, *III Coloquio de Historia Medieval Andaluza, Diputación Provincial de Jaén*, Jaén, 1984, pp. 327-338; María de los Llanos MARTÍNEZ CARRILLO, “Historicidad de los ‘Miráculos romançados’ de Pedro Marín (1232-1293): el territorio y la esclavitud granadinos”, *Anuario de Estudios Medievales*, 21 (1991), pp. 69-96; Juan TORRES FONTES, “La cautividad en la frontera granadina (1275-1285)”. Estampas Giennenses”, *Boletín de la Institución de Estudios Giennenses*, no. 162, 2 (1996), pp. 895910; Ángeles GARCÍA DE LA BORBOLLA, “La espiritualidad de los cautivos de Santo Domingo en la obra de Pero Marín”, *II Estudios de Frontera, Diputación Provincial de Jaén*, Jaén, 1998, pp. 257-267; Ángeles GARCÍA DE LA BORBOLLA, “Santo Domingo y las milagrosas redenciones de cautivos en tierras andalusíes (siglo XIII), *Collectanea Archivi Vaticani*, 46 (2000), pp. 539-548; Ángeles GARCÍA DE LA BORBOLLA, “Santo Domingo de Silos, el santo de la Frontera: la imagen de la santidad a partir de las fuentes hagiográficas castellano-leonesas del siglo

XIII", *Anuario de Estudios Medievales*, 31/1 (2011), pp. 127-145; Carmen ARGENTE DEL CASTILLO, "Cautiverio y martirio de doncellas en la Frontera", *IV Estudios de Frontera, Diputación Provincial de Jaén*, Jaén, 2002, pp. 31-71; José Enrique LÓPEZ DE COCA, "La liberación de cautivos en la frontera de Granada (siglos XIII-XV)", *En la España Medieval*, 36 (2013), pp. 79114; Raúl GONZÁLEZ ARÉVALO, "Cautiverio y esclavitud en el Reino de Granada (siglos XIII-XVI)", *Vínculos de Historia*, 3 (2014), pp. 232-257.

(13) *Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín*,

على سبيل المثال معجزات رقم: ٨، ١١، ٢٠، ٣٠، ٣٦، ٤٢.

(١٤) المصدر نفسه، على سبيل المثال معجزات رقم: ١٨، ٢٦، ٨٩.

(١٥) المصدر نفسه، على سبيل المثال معجزات رقم: ٦، ٩، ١٩، ٢١، ٢٥، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٤١، ٤٥، ٤٨، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٤، ٦٦، ٧٠-٨٠، ٨٣، ٨٤.

(16) IBN SAHIB AL-SALA: *Al-Mann Bil-Imama*, preliminary study, translation and indices by A. Huici Miranda, Anubar, Valencia, 1969, pp. 228-230.

(17) Fuero de Cuenca. *Formas primitiva y sistemática, texto latino, texto castellano y adaptación del Fuero de Iznatoraf*, ed. Rafael Ureña & Smenjaud, Real Academia de la Historia, Madrid, 1935, El Escorial edition, chap. XXX, rub. XV, XVI & XVII, pp. 644-646, chap. XXX, rub. XXVI, XXVII, XXVIII, pp. 650-2. See also James William BRODMAN, "Municipal Ransoming Law on the Medieval Spanish Frontier", *Speculum*, vol. 60, no. 2 (1985), pp. 318-330; IDEM: *Ransoming Captives in Crusader Spain: The Order of Merced on the Christian-Islamic Frontier*, University of Pennsylvania Press, 1986, esp. pp. 6-8; POWERS, J.F.: *A Society Organized for War. The Iberian Municipal Militias in the Central Middle Ages*, 1000-1284, University of California Press, Berkeley-Los Angeles, London, 1988, pp. 179-181.

(18) Fuero de Cuenca, versión valentina, Book III, tit. XIV, 19, p. 653 and 31, p. 665.

(19) Fuero de Cuenca, versión valentina, Book III, tit. XIV, 27, p. 659 and 35, p. 669.

(20) *Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín*, nos 32, 35 and 44.

(٢١) عن الأنشطة الاقتصادية والمهنية للأسرى المسلمين في القرن الخامس عشر، انظر:

Francisco VIDAL CASTRO, "El cautivo en el mundo islámico: visión y vivencia desde el otro lado de la frontera andalusí", *II Estudios de Frontera*, Diputación Provincial de Jaén, 1998, p. 785.

(22) "*...quosdam captiuos duximus ad seruitium christianorum et monasteriorum que sunt in marchia reparanda*", Carta de Alfonso VIII, p. 572.

(23) Jean Pierre MOLENAT, *Campagnes et monts de Tolède du XIIe au XVe siécle, Casa de Velázquez*, Madrid, 1997, pp. 35-36.

(24) Francisco VIDAL CASTRO, "El cautivo en el mundo islámico", pp. 778, 791 y 812.

تمت دراسة أمثلة ميورقة وبلنسية من القرن الثالث عشر بواسطة:

Josep TORRÓ, "De bona guerra. El ambiguo estatuto del cautivo musulmán en los países de la Corona de Aragón (siglos XII-XIII)", in *El cuerpo derrotado: cómo trataban musulmanes y cristianos a los enemigos vencidos (Península Ibérica, ss. VIII-XIII)*, Maribel Fierro & Francisco García Fitz (eds.), CSIC, Madrid, 2008, pp. 450-453.

(25) Francisco VIDAL CASTRO, "El cautivo en el mundo islámico", p. 786.

(26) *Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín*, for instance nos. 8, 9, 14, 15, 19, 27, 30, 31, 32, 35, 38, 40, 46, 47, 51, 57, 61, 62, 67, 69, 87

(27) Ibid, no. 66.

(28) Ibid, nos. 47, 53 and 85.

(29) Ibid, nos. 48 and 76.

(30) Ibid, nos. 29, 33, 36, 39, 47, 51, 57, 63, 66-70, 79.

(31) Ibid, nos. 29, 33, 36, 39, 40, 42, 43, 44, 47, 48, 51, 53, 55, 57, 60, 62, 63, 65-71, 74, 75, 77, 79, 81.

(32) Ibid, no. 8.

(33) Ibid, nos. 22 and 38

(34) For instance in Ibid, nos 35 and 38.

(٣٥) بالإضافة إلى الإشارة لنقص الطعام في الحاشية (٢٩)، انظر المصدر نفسه، معجزات رقم: ٦، ٧، ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٥، ٣٠.

(36) For instance in Ibid, nos. 6, 10, 11, 12, 13, 14, 15, 17, 18, 32, 41, 77.

(37) Ibid, nos. 6, 8, 13, 15, 18, 22, 37, 38, 40, 41, 42, 53, 57, 58, 66, 69, 71, 72, 73, 80, 81.

(38) For instance in Ibidem, nos. 13, 58 and 73.

(39) For instance in Ibidem, nos. 43 and 47.

(40) For instance in Ibidem, nos. 38, 47, 53 and 67.

(41) For instance in Ibidem, nos. 22, 37, 40, 41, 42, 53, 57, 65, 66, 69, 71, 72, 80, 81, 89.

(42) For instance in Ibidem, nos. 22 and 53.

(43) Ibid, no. 53.

(44) Ibid, nos. 37 and 41.

(٤٥) هناك العديد من الأمثلة على هذه الممارسات في المعجزات. Ibid, nos. 41, 69 and 72.

(46) IBN IDARI AL-MARRAKUSI: *Al-Bayan al-mugrib fi ijtisar ajbar muluk al-Andalus wa al-Magrib*, ed. and trans. A. Huici Miranda, t. I, Editora Marroquí, Tetuán, 1953, p. 42. 47

(٤٧) انظر، على سبيل المثال، القوانين المتعلقة بـ "الفكاكين" (alfaqueques) والافتداء في:

Partida II, Tít. XXX, Leyes I-III; Fuero de Coria, ed. Emilio Sáez, Instituto de Estudios de Administración Local, Madrid, 1949, 392-394, pp. 104-105; Fuero de Úbeda, ed. Mariano Peset, Juan Martínez Cuadrado y Josep Trench Odena, Universidad de Valencia, Valencia, 1979, LXX, p. 392; Fuero de Baeza, ed. Jean Roudil, Van Goor Zonen, La Haya, 1962, 869, pp. 227-228;

Fuero de Zorita, ed. Rafael Ureña, Real Academia de la Historia, Madrid, 1911, 805, p. 355; or Fuero de Plasencia, ed. Eloísa Ramírez Vaquero, Editora Regional de Extremadura, Mérida, 1987, 682, p. 160.

(٤٨) عن ذلك انظر مثلًا:

Los milagros romanzados de Santo Domingo de Silos de Pero Marín, nos. 71, 72 and 80.

(49) Ibid, no. 84.

(50) Partida II, Tít. XXVI, Leyes IV-VII; Fuero de Cuenca, versión valentina, Book III, tit. XIV, 13, p. 649-; Fuero de Cáceres, ed. Pedro Lumbreras, Ayuntamiento de Cáceres, 1974, 387, p. XC; Carlos SÁEZ SÁNCHEZ, *Colección Diplomática de Sepúlveda, Diputación Provincial de Segovia*, Segovia, 1991, volume II, doc. 19, pp. 26-27; José Damián GONZALEZ ARCE, “Cuadernos de Ordenanzas y otros documentos sevillanos del reinado de Alfonso X”, *Historia. Instituciones. Documentos*, 16 (1989), p. 128; Fuero de Baeza, 915. 51

(51) IBN JALDÚN: *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l’Afrique septentionale*, trad. Le Baron de Slane, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, , París, 1978, II, pp. 213-215.

(52) Partida II, Tít. XXVI, Ley V; Fuero de Cuenca, versión valentina, Book III, tit. XIV, 22, p. 655.

المؤلف:

فرانشيسكو جارسيا فيتز Francisco García Fitz، حاصل على الدكتوراه من جامعة إشبيلية. يعمل أستاذًا بقسم التاريخ، كلية الفلسفة والآداب، جامعة إكستريمادورا Universidad de Extremadura (إسبانيا). بريد إلكتروني: fgfitz@unex.es